عراقيون
من زمن التوهج
رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
العدد (4407) السنة السادسة عشرة - الخميس (11) نيسان 2019
WWW. almadasupplements.com

علي جواد الطاهر

4
علي جواد الطاهر... مترجماً

علي جواد الطاهر والعمود الصحفي

شكيب كاظم

مرة، طلب مني مسؤول في أحدى الصحف اليومية المرموقة، الكتابة اليهم بشكل دائم وثابت، أي كتابة ما يشبه العمود الأسبوعي أو نصف الشهري فاعتذرت قائلاً: إني على استعداد للكتابة اليكم والتعاون معكم بعيداً عن الكتابة المقننة والمحددة بموعد ثابت، لأني أرى الكتابة مسؤولية والذي لا يحترم قارئه سيخسر احترام القراء له ولقلمه، فضلاً عن ان الكتابة كما أراها مزاج واستعداد لذا فأنا اعجب، إذ أقرأ في سيَّر وحيوات الكتاب أعجب من ميكانيكية بعضهم، إذ تراه يذكر انه يكتب من الساعة كذا حتى الساعة كذا من كل يوم من أيامه، ترى أهذا الكاتب جندي حراسة أو شرطي يؤدي واجبه المعتاد؟!

مرات عديدة، قد لا يكون لك الاستعداد الكافي لكتابة شيء مفيد وجميل، يضيف إلى رصيدك لدى القراء والمتابعين شيئاً، فالكتابة شأنها شأن القراءة، يحصل ان يلتمع في ذهنك عنوان كتاب فتبحث عنه في مكتبتك حتى إذا وجدته بعد لأي، بدأت القراءة بفرح وحبور، في حين تطالعك عناوين كتب في مكتبتك لكنك لا تجد المزاج والرغبة في قراءتها، لذا فأنا اعجب من هذا الإصرار على كتابة العمود الأسبوعي أو نصف الشهري وحتى الشهري لأن الكتابة عند ذاك ستتحول إلى واجب وظيفي، لن تكون جالبة لقارئ يحترم وقته وذائقته.

قد يكون لمحرري الصفحات الثقافية أو الصفحات المتخصصة عذر، فالعمود الذي يكتبونه جزء من عملهم الوظيفي، فضلاً عن ان المحرر بحاجة إلى إبداء الرأي ومواكبة الأمور الثقافية والمعرفية، ولكن الذي يؤسف له هذا الإصرار على الكتابة المحددة والظهور الأسبوعي الذي اسميه بـ (الكتابة الوظيفية).

بعض المجلات الشهرية، وحتى الصحف اليومية تكلف بعض الأسماء، ومنها أسماء مهمة، لا بل مهمة جداً للكتابة بموعد ثابت، رغبة من هذه المطبوعة في جلب انتباه القراء واقتناء المطبوع، لرغبة القارئ في متابعة كاتبه الفضل.

كنا نتابع ما تكتبه الصحفية اللبنانية والقاصة ليلى البعلبكي، في مجلة (الأسبوع العربي) اللبنانية أو ما يكتبه الشاعر نزار قباني في مجلة (بيروت المساء)، أو كتابات غسان كنفاني في مجلة (الهدف) الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أيام مؤسسها الدكتور جورج حبش، الذراع العسكري لحركة القوميين العرب، ومقالات أستاذي الدكتور علي جواد الطاهر في صفحة (آفاق) جريدة الجمهورية، التي كان يتولى الإشراف عليها الناقد ماجد السامرائي، وكانت من ارقى الصفحات الثقافية في العقد السبعيني، لكن علي جواد الطاهر ما واصل الكتابة طويلاً لأنه يشعر بمسؤولية الكتابة ويحترم قارئه، توقف عن كتابة مقاله الأسبوعي الموسوم بـ(ما وراء الأفق)، من أجل مزيد من القراءة ومن أجل ديمومة العلاقة مع قارئه، وجمع هذا المكتوب ونشرته له وزارة الإعلام العراقية في كتاب اسماه (وراء الأفق الأدبي)، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٧.

((واستوجب الحال – كما يقول الطاهر – شيئاً من الاستجمام، يرى الكاتب فيه المدى الذي يستطيع ان يصل إليه والمادة التي يمكن ان يتناولها، دون ان يجور على مخططه (...). أجل فقد كان يريد لمداها ان يكون أبعد من الخبر الصحفي، الذي ينتهي بانتهاء اليوم الزمني الذي تصدر فيه الجريدة، ويريد لها قدر المستطاع ان تجمع الطرافة إلى رصد الحاضر، والاهتمام بالغد لقد كان بمعنى آخر يخطط إلى ان ينشرها لدى أول مناسبة في كتيب خاص) تراجع ص ٦ من الكتاب.

ويتكرر الحال، مع مجلة (الف باء) إذ تكلفه المجلة بكتابة حديث ثقافي أسبوعي اختار له عنوان (الباب الضيق)، كتبتُ عنه حديثاً نقدياً عنوانه (محاولة لولوج الباب الضيق)، نشرته جريدة (العراق) يوم الأثنين ٨/ من شهر شوال /١٤١٢- الموافق للعشرين من شهر نيسان ١٩٩٢، وبالعدد ٤٩٥٤، وأعدت نشره في كتابي الثاني الصادر عام ٢٠٠١ والموسوم بـ (الضفة الثانية. في نقد القصة والرواية).

ما أقل من هم على هيئة الطاهر وتوجهاته، فالكتابة المتواصلة إذا لم تردفها قراءة جادة ومتواصلة، تجعل الكاتب يقدم لنا لغو صيف، أو سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع من ذاكرة القارئ، والكثير من الكتاب لا يقرأون بشكل جاد وجيد، لذا ما هي إلا إغماضة عين وانتباهتها، حتى يظهر الكاتب الوظيفي، أو ما اسميه (المتحدث الخافر)، إذ تراه في كل ندوة ومناسبة، يتحدث الحديث ذاته، مع تغييرات بسيطة تناسب المقام، وقد رأيت أكثر من متحدث، ما ان يكمل حديثه الفارغ، حتى يغادر الجلسة، لأنه مدعو إلى ندوة أخرى، وكأنه (متعهد) أحاديث أو (قنطرجي).

أقول: ما لبث هذا الكاتب الوظيفي، أو الناقد المتحدث الخافران يظهر على حقيقته الخاوية خالي الوفاض، إلا من كلام مزوق منمق.

فقد قال كل الذي يريد قوله، وسيصبح (صاقولاً) كما أطلق الدكتور علي الوردي على نفسه هذا الوصف – وكان جريئاً وصادقاً-، أي انه يعيد و(يصقل) ما سبق ان كتبه وتحدث به، لأنه لا يقرأ، كي يضيف إلى ثرائه المعرفي ثراء جديدا.

الكتابة مسؤولية، بل صعبة كما يصفها إبراهيم الجرادي في مقال جميل عنوانه بـ (استدراك الأمر بصريح العبارة) نشرته جريدة (المنتدى) الأسبوعية الثقافية الرائعة، التي تذكرني بجريدة (البلد) المحتجبة التي أصدرها الصحفي الرائد عبد القادر البراك – رحمه الله-، منتصف العقد الستيني الفارط، لقد كانت جريدة (البلد) واحة وارفة الظلال، تتفيأ فيها أقلام كتاب ذلك الوقت، ولعلها أول صحيفة كان الهم الثقافي والكتابي فيها يعلو على صوت السياسة، أقول: قرأت في جريدة (المنتدى) بالعدد المرقم ١٥٧ الصادر في يوم الأربعاء ١٩ / من ذي الحجة/ ١٤٣٢هـ -١٦/١١/٢٠١١ ما يشبه الاعتراف الصريح بضرورة الإيفاء بالتزامات هذه الكتابات الوظيفية المقننة ، في مواجهة من يستسهلها، الذي يرى انه يكتب بدوافع لا علاقة لها بقيمة ما يكتب، وهذه هي الكارثة والداهية الدهياء، يقول الجرادي إبراهيم: لم يصدقني صاحبي حين قلت له: إنني استصعب كتابة الزاوية الصحفية أكثر من سواها، ولم يصدقه أصدقاؤه والحاضرون، حين أعترف صاحبه انه يكتب وهو الاسم المعروف، بدوافع لا علاقة لها بقيمة ما يكتب، لأن في الأمر بواعث مرتبطة بالذات الكاتبة، ورغبتها في الظهور والحضور وتأكيد الذات)).

بصراحة، أنا لا أقرأ الأعمدة الثابتة، لا بل أقرأ نتفاً منها وسطوراً، حتى للكبار أمثال: أدونيس، وعبد السلام المسدي، وجابر عصفور ، وصلاح فضل، وغيرهم، لأنني بمقارنة هذه الكتابات الوظيفية الوجائبية ومقارنتها بما كتبوا خارج هذه الأطر المحددة، أرى البون شاسعاً بين الكتابتين والنهجين، قد يكون الكاتب محتاجاً إلى المال، لكني أراه بحاجة كبرى إلى هذه الآصرة بينه وبين القراء والتي سداها ولحمتها الاحترام المتبادل، وليس رغبة في الحضور وتأكيد الذات، فهذه الكتابات المنبتة الصلة والمقطوعة الآصرة، لن تجلب لك حضوراً وتأكيد ذات ، لأنها صادرة عن خواء نفسي، واستغفال قد يبدو متعمدا للقارئ، وان يضع في حسبانه ان ليس الكاتب منتج النص وكاتباً له، بل القارئ من خلال خزينه الثقافي، وذائقته القرائية، هو الآخر منتج للنص ومفسر له، وأنه ليس من المجدي – من أجل ديمومة العلاقة وبقائها بين وجهي العلاقة هذه، وأعني الكاتب والقارئ،- ان يظل هؤلاء يبثون لغوهم الفارغ، فالباث أو الكاتب بحاجة إلى الركن الثاني من عملية البث أو الكتابة، أي المبثوث له، القارئ والمتلقي، فهل يجوز لهؤلاء ان يواصلوا بث فارغ القول، أو المبثوث الفارغ، يصدعون به أدمغة قرائهم؟!

المسألة أخيراً بحاجة إلى مراجعة للذات، أنريد علاقة احترام مع القارئ وللقارئ، أم علاقة استغفال له وتدليس عليه؟!

فالقول الصادر من القلب يدخل القلب، أما القول الصادر عن اللسان، فلا يكاد يصل إلى الآذان، إذن القارئ السامع!

رائد فن المقال الأدبي

نشأت على حبه قبل أن التقي به ، وأنعم بآثاره الابداعية

د. جليل العطية

ولد علي جواد الطاهر في الحلة ودرس في مدارسها ، ثم تخرج في دار المعلمين العالية [التربية] عام ١٩٤٥ ، بعدها شدّ الرحال إلى القاهرة ليدرس في جامعة فؤاد [القاهرة] (٤٧ – ١٩٤٨) ثم غادر إلى باريس فحصل على دكتوراه الدولة فيها (١٩٥٣) وبعد عودته للعراق مارس التدريس في كليتي التربية والآداب بجامعة بغداد .

واثر كارثة ١٩٦٣ عمل استاذاً مساعداً في كلية الآداب بجامعة الرياض للفترة من ١٩٦٣ لغاية ١٩٦٨ . عاد بعدها للعمل في جامعة بغداد – كلية الآداب ونال رتبة « الأستاذية « ثم عمل أستاذاً زائراً في جامعات الجزائر وقسنطينة وصنعاء وقطر واحيل إلى التقاعد عام ١٩٨١ .

ودعته جامعة الكوفة للعمل في كلية التربية للبنات (مرحلة الدراسات العليا) ثم انتقل إلى التدريس في الجامعة المستنصرية – كلية التربية عام ١٩٩٤ واستمر في تأدية دوره التربوي والعلمي ونال التكريم من عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية .

ولبى نداء ربه في التاسع من تشرين الأول ١٩٩٦.

الأب الروحي للنقاد

يعدّ الطاهر رائداً من رواد النقد الأدبي في العراق والوطن العربي كما يعد رائداً لجيل من النقاد العراقيين . يقول الناقد والكاتب ياسين النصير وهو أحد تلامذته [بحق كان الدكتور علي جواد الطاهر الحلي الأصل والعراقي الهوى والفكر والمتتبع للثقافة وأنشطتها والمتحمس للمثقفين الشباب . . رائداً لجيل من النقاد العراقيين الذين وجدوا في رعايته في السنوات الأخيرة ملاذاً يقودهم إلى بر الأمان من غل ينتظرهم أو ضعف ينيب بهم فكان أستاذاً صديقاً للناقد عبد الجبار عباس ولشجاع العاني ولفاضل ثامر ولحاتم الصكر ولعبد الرضا علي ولعبد الآله أحمد ولياسين النصير ، وكان بعضنا يجتمع معه أسبوعياً في داره في الكرادة التي أصبحت مزاراً لنا وندوة أسبوعية منفتحة على الثقافة كلما كانت هناك رغبة حقيقية في نهضة ثقافية] .

يقول الطاهر [لقد قرأت وكتبت . . وبقي أن اقرأ أكثر . . وأكتب أكثر . . وأصل الحاصل إلى المقدمة .. ليصل إلى القارئ والدارس ، ولنعتدل في مواجهة القادم من الغرب ونقف على أقدام ثابتة لا يضيع فيها وجودنا ..]

يقول الشاعر والمترجم صلاح نيازي [يمكن لنا أن نضع أيدينا على سرّين من أسرار عبقرية الطاهر أولهما تدريس الانشاء والثاني المقالات المجودة التي ظهرت بكتابين هما (مقالات) و (ووراء الأفق الأدبي) ثم أساتذتي ومقالات أخرى .

المقالة :

ويقول د. فاضل عبود التميمي في كتابه (جماليات المقالة عند د. علي جواد الطاهر [في بناء المقالة يعتمد الطاهر على هندسة معينة في تشكيل مقالاته وابرازها للوجود فهو يقدم الشكل على المضمون ، لأن اعتزازه بالشكل يفوق اعتزازه بالمضمون والاعتزاز بالشكل يعني عنده العناية الخاصة بالادارة الفنية والسعي الحثيث إلى عنصر الطراوة ، وهذا لا يعني أهمال المضمون فهو في كل الاحوال قرين الشكل ومنبثق منه] .

كان الطاهر آية في التواضع ، شديد الايمان بالديمقراطية ، وكان أول أستاذ في العراق يعرّف طلبته بالقصة العراقية الحديثة وبنصوص من الأدب الحديث بعد أن كانت دروس الأدب ، في المدارس والجامعات تعتمد في الغالب النصوص القديمة .

يقول الطاهر : [فليس كل من جلس على كرسي التدريس . . استاذاً ، الاستاذ علم وأدب وسلوك وشخصية وهو وحدة متماسكة لا تتجزأ ولا تتناقض ، واستاذك في المصطلح هو الذي يعلمك العلم . . .

وتقول تلميذته (د. نادية غازي العزاوي) : كان الطاهر مؤمناً ايماناً راسخاً بخطورة دور الجامعة في النهوض والتأسيس والبناء والتحديث كما هو ملموس في الدول الكبرى ، فاعتصرته الموازنات المريرة بين وضع الجامعة في فرنسا – مثلاً – ووضع نظيرتها في العراق ، وبخاصة العطب الذي طال مقوماتها الأساسية :

– المناهج .

– الاستاذ والطرائق التعليمية .

– الطالب .

كان ينظر – باكبار إلى الاستاذ شخصاً وأداء ..]

ودعا الطاهر إلى اصدار قانون للاصلاح العلمي على غرار قانون الاصلاح الزراعي وللأسف فشل الأخير واصلاح العلم لا يزال ينتظر الجهات الرسمية في العراق .

ذكريات :

لم أرزق التلمذة له ، فلقد تتلمذت لأحد تلامذته النابهين . كان أخي خليل معلماً في احدى مدارس الكوت – مسقط رأسينا – ودفعه طموحه للالتحاق بدار المعلمين العالية [التربية] وعاد إلينا يوماً ليحدثنا عن عجائب الدار ، فأكد ان نجومها ثلاثة : مصطفى جواد ومحمد مهدي البصير وعلي جواد الطاهر .

– كان يتوقف كثيراً عند الحديث عن « الطاهر « .

– هكذا دخل هذا الرجل قلبي بامتياز . كنت أتابع مجلة « المعلم الجديد « التي كانت تصدرها وزارة المعارف [التربية] وكان الطاهر أحد المشرفين على تحريرها ، فأدهش لمقالاته التي كانت تتألف فيها ، اذكر منها : وصيته : أريد أن أكون قصاصاً ووصيته الأخرى للناقد : ألف شرط وشرط

علي جواد الطاهر مع جليل العطية

وتمضي الأيام فأجد نفسي في بغداد عاصمة الثقافة والابداع . وفي أمسية جميلة في دار أستاذي الدكتور جواد علوش [١٩٢٧ – ١٩٧٦ م] التقيت الطاهر . كانت مفاجأة لذيذة أدخرها لي أستاذي لأستاذه وابن مدينته (حلة بني مزيد) . سألني عن خليل وابدى أعجابه بتحقيقه ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني [بغداد – ١٩٦٢] . أدهشتني ذاكرته عندما كشف لي أنه كان أجاز نشر مقال لي في المعلم الجديد [عنوانه مشكلة الانشاء أبداً – نيسان ١٩٦٠] وتوقع لي مستقبلاً مرموقاً في عالم الأدب .

ثم تعددت اللقاءات هنا وهناك وكان يتابع نشاطاتي الأدبية المتواضعة وينصحني بالتركيز والتكثيف . وتمر الأيام ونتباعد لكن بيننا رسائل فقدت اغلبها في تنقلاتي ، وبعد رحيله عمدت إلى طائفة من رسائله التي أنفذها إليّ ما بين ١٩٨٤ و ١٩٨٩ فنشرتها في مجلة « عالم المخطوطات والنوادر « التي تصدر في الرياض [العدد الثاني ٩٧ – ١٩٩٨ م] .

– كما نشرت حواراً كنت أجريته معه في مجلة (الحرس الوطني) (١٩٩٨ م) وقد أعاد علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر (ت ٢٠٠٠ م) نشره في المجلد الرابع من (معجم المطبوعات السعودية) الذي ألّفه « الطاهر « ونشر في الرياض .

كان « الطاهر « نمطاً فذاً من الرجال . زهد في الحياة وأخلص للعلم ، وتظهر مقالاته ونتاجاته التي نشرها في الصحف والمجلات والدوريات دقة متابعته للكتب المنشورة في مختلف الموضوعات ، كما تظهر تميّزه بأسلوب شائق أخاذ يقوم على الايجاز غير المخل ، وتبرهن على ثراء معلوماته الموسوعية وحصيلته العلمية .

ومن حسن التوفيق أنه جمع معظم ما نشره في الصحافة والمجلات في كتب تأنق في اختيار عناوين جميلة لها ، لكنه لم يوفق في نشر هذه الكتب كلها في حياته ، فصدر عدد منها بعد رحيله ولا بأس أن نشير هنا أن عدد آثاره يبلغ نحو خمسين كتاباً ومطبوعاً .

ولم تقتصر متابعات « الطاهر « على ما يصدر من الكتب في العراق والوطن العربي ، بل كان يتابع الكتاب الفرنسي .

وكنت أزوده بفهارس « كتلوكات « عدد من دور النشر الفرنسية فيتابع الجديد ويطلب مني أن أتحفه ببعض هذه الكتب بأسلوب يثير خجلي لتواضعه الجم ، ولكي أداري هذا الخجل ، كنت أطلب منه بعض المطبوعات التراثية العراقية ، فيسارع للاستجابة لطلباتي بهمة ونشاط .

– ومن يطلع على رسائله الشخصية يلاحظ خلوّها من اللقب العلمي وهو يكتب رسائله على أوراق بيض لا تحمل اسمه مطبوعاً ، كما أنه يحرص على تثبيت رقم هاتفه وعنوانه الشخصي في كل رسائله .

– ألم أقل إن (علي جواد الطاهر) آية في التواضع ؟

عن كتاب " عراقيون في القلب "
سيصدر قريبا عن دار المدى

علي جواد الطاهر... مترجماً

عدنان حسين أحمد

على الرغم من ترجمة الدكتور علي جواد الطاهر لأربعة كتب من اللغة الفرنسية إلى العربية، ومراجعته لعشرات الكتب المُتَرجَمة عن لغات غربية وشرقية إلاّ أن أحداً لم يكتب عن هذا المضمار الحيوي الذي عُني به الراحل، وكرّس له جزءاً مهماً من وقته الثمين إلى أن انبرى تلميذه، وصديقه الحميم، وزميله التدريسي لاحقاً الدكتور حسن البياتي ليكتب عنه بحثاً معمّقاً عنوانه «الدكتور علي جواد الطاهر والترجمة إلى اللغة العربية»، وبما أنّ الكاتب كان يسارياً آنذاك، وأنّ المكتوب عنه غير مَرْضي عنه تماماً من قبل السلطة الاستبدادية فقد رفض رئيس تحرير مجلة «المجمّع العلمي» نشر هذا البحث الأكاديمي لكن مجلة «آفاق عربية» أبدت استعدادها لنشره شرط اختصاره إلى النصف، بينما وافقت «الموسوعة الصغيرة» على نشره إن قام الباحث بتوسيع مادته بما يتناسب مع حجم الإصدار. وحينما سافر الدكتور حسن البياتي إلى اليمن للتدريس في جامعة حضرموت أخذ معه البحث لكن الحادث الذي أودى ببصره وقف حائلاً دون نشره، فتقادمت الأعوام عليه حتى عاود نشاطه الثقافي من جديد فطوّر البحث عام 2015 ووسّعه حتى أصبح كتاباً قائماً بذاته يحمل عنوان «الصرح الترجمي للدكتور علي جواد الطاهر» الذي صدر عن دار الفارابي في بيروت هذا العام. يتمحور الكتاب على تراجم الطاهر، ومراجعاته للكتب المترجمة، وآرائه النقدية في عملية الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. ويتضمن الكتاب أيضاً وثيقتين خطيتين مهمتين، وصفحات استهلالية تسبق المقدمة، والأركان الخمسة التي يقوم عليها متن الكتاب، والخاتمة التي تشتمل على نتائج البحث، وتوصيات الباحث بمواصلة الكتابة عن هذا الصرح الترجمي كلما توفرت لديه مادة جديدة لم يقع عليها من قبل.

تكشف الوثيقة الأولى عن التواضع الجمّ للدكتور الطاهر الذي أرسل نسخة من كتابه «منهج البحث الأدبي» إلى تلميذه حسن البياتي ملتمساً منه إن اتسع له المجال أو سافر إلى موسكو أن يحصل على كتاب نموذجي في منهج البحث، ويقارن بين الاثنين ليستدرك ما فاته في طبعة لاحقة. أما الوثيقة الثانية فهي كلمة تأبين للفقيد الراحل الذي غادرنا جسداً لكنه ظل حاضراً بيننا بفكره الثاقب، ورؤيته النقدية المتوهجة.

إذا أراد القرّاء أن يعرفوا صدق العلاقة الإنسانية الراقية بين التلميذ وأستاذه فعليهم أن يقرأوا الصفحات الاستهلالية التي ترصد هذه العلاقة منذ العام ١٩٥٤ حين تعرّف عليه في دار المعلمين العالية حتى يوم رحيله المفجع في ٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٦. وخلال أربعة عقود ونيّف من هذه العلاقة الحميمة مع أستاذه، وصديقه المقرّب وجد البياتي نفسه مهيأً لكتابة هذا البحث لأسباب كثيرة أهمها قراءة كل ما كتبه الطاهر من أعمال منشورة، ومخطوطة باستثناء بعض المقالات والمراجعات النقدية التي تعذّر الحصول عليها بسبب التنقل والترحال بين المدن والأمصار بحثاً عن الطمأنينة والسلام الروحي. كما أن البياتي نفسه شاعر، وباحث، ومترجم وقد صدر له في حقل الترجمة فقط ١٥ كتاباً مترجماً عن اللغة الروسية تؤهله لأن يخوض في هذا البحث الأكاديمي غير المطروق من وجهة نظره. يقوم الصرح الترجمي على خمسة أركان رئيسية وهي «مباشرة الترجمة، والحثّ عليها، ومتابعة النتاج المترجم وتقويمه، ومراجعته، وطرح وجهات نظر عامة في عملية الترجمة». يحيطنا الركن الأول من الكتاب، أي مباشرة الترجمة، بأن الطاهر قد ترجم أربعة كتب رئيسية إذا ما استثنينا أطروحته الموسومة «الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي» التي ترجمها عام ١٩٥٦. أما الكتب الأربعة فهي «مقالات» ١٩٥٦ و«الأبناء وقصص أخرى» التي صدرت عن اتحاد الأدباء العراقيين عام ١٩٦١. أما الكتابان المخطوطان فهما «السوط وقصص أخرى» لسبعة كُتاب فرنسيين و«الأدب الفرنسي في العصر الوسيط» لبيير جورج كاستكن، وبول سيرر الذي لم يرد ذكره لا كتابة ولا شفاهة، كما أنه الكتاب الوحيد الذي ظل دون مقدمة بخلاف كتبه المخطوطة كلها. يعتقد البياتي أن قارئ هذه المقالات والقصص يشعر بالمتعة «لسلامة لغتها، وسلاسة أسلوبها» وكأن رائحة الترجمة قد تلاشت من هذه النصوص أو كادت، وهذا يؤكد أن الطاهر كان متمكناً من أدواته الترجمية، وقد أشاد الباحث بأسلوبه الشاعري الجميل الذي يحاول الاقتراب من الأصل والتماهي فيه.

أما الركن الثاني فهو «الحثّ على الترجمة إلى اللغة العربية والإشادة بجهود القائمين بها» حيث اتّبع الطاهر كل الوسائل المتاحة له مثل الكتابة في الصحف، ومراسلة المترجمين الذين يتوسم فيهم القدرة على الترجمة، واللقاءات الشخصية، أو الاتصالات الهاتفية مستفزاً هممهم، ومستنهضاً قدراتهم الثقافية الكامنة بغية ترجمة النصوص الأدبية التي تساهم في تطور البلد، ومواكبة ركب الأمم المتحضرة. وقد أشاد الطاهر بعدد من المترجمين العراقيين أمثال جميل نصيّف التكريتي، وحياة شرارة، وجليل كمال الدين، وضياء نافع، وحسن البياتي الذي تألق في ترجمة روايتي «أولئك الذين تحت» و«زبد الحديد» وسواهما من الكتب الرصينة الأخرى.

يرتكز الركن الثالث على «متابعة النتاج المُترجَم وتقويمه» ففي الأقاصيص المترجمة أسهم الطاهر بترجمة أقصوصتين من اللغة الفرنسية، بينما شارك آخرون بترجمة ثلاث قصص من الألمانية والإنجليزية والفارسية مع مقدمة طويلة كتبها الطاهر بنفسه حيث قدّم في الصفحات العشر الأخيرة منها عرضاً تقويمياً للأقاصيص الخمس متابعاً إياها بطريقة علمية، ومثمّناً جهود القائمين بها من دون أن ينسى الإشادة بالمؤسسات والجهات الناشرة. يعود اهتمام الطاهر بالأدب المترجم إلى عام ١٩٣٤ حينما قرأ «خواطر حمار» للكونتيس دي سكير، ترجمة حسن الجمل، ورواية «هيرمن ودروتيه» لغوته ترجمة محمد عوض محمد وسواها من الكتب الأدبية ثم يتواصل الثناء ليشمل مترجمين من طراز سليمان البستاني الذي ترجم الإلياذة، وسامي الدروبي الذي عدّه الطاهر «حالة نادرة في تاريخ الترجمة عندنا»، ومحيي الدين صبحي، وجبرا إبراهيم جبرا، وعزيز ضياء، ومترجمي مسرحيات «كريولان» و«الإنسان الطيّب» و«غاليليو» التي أخرجها الراحل عوني كرّومي، فقد كان الطاهر مولعاً بمتابعة المسرحيات المترجمة التي تُعرض آنذاك منوّهاً بجيدها، ومُنتقداً الهابط منها. يختص الركن الرابع بـ«مراجعة النتاج الأدبي المُتَرجم إلى اللغة العربية» حيث كُلِّف الطاهر بمراجعة كتابين وهما «تشيخوف» لهنري ترويا، ترجمة خليل الخوري، و«قصيدة النثر: من بودلير إلى أيامنا» لسوزان برنار، ترجمة زهير مغامس، وقد أعجب المترجمان بمراجعة الطاهر، وملحوظاته القيّمة، وتصويبه للهفوات التي ارتكبوها في أثناء الترجمة. أما القسم الثاني من هذا الركن فيشتمل على مراجعة ٢٧ كتاباً مترجماً من الفرنسية والإنجليزية والروسية حيث انتقد المراجعين الذين لا يستدركون الأخطاء قبل وصولها إلى القرّاء.

أما الركن الخامس والأخير فيتمثّل بـ«طرح وجهات نظر عامة في عملية الترجمة» وهي آراء وأفكار مُستمدة من تجربته الشخصية الطويلة، وخبرته الواسعة التي تجمع بين البحث والنقد والترجمة. ويشدّد الطاهر على أن المترجم ينبغي أن يمتلك ناصية اللغتين، المترجَم منها والمُترجَم إليها، ويدعو إلى ضبط الترجمة وصياغة العبارة السليمة التي لا تخدش الأذن العربية المرهفة. خلاصة القول إن الدكتور حسن البياتي قد وفا بوعده، وبرّأ ذمته من الدَين الذي طوّق عنقه على مدى عشرين عاماً أو يزيد.

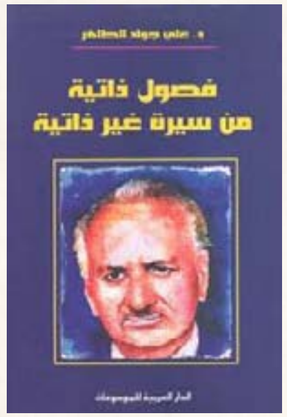

الطاهر ومرجعياته المعرفية

في كتابه (فصول ذاتية من سيرة غير ذاتية)يضع الدكتور علي جــواد الطاهر يده على المرجعيّات المعرفيّة الموسّسة لوعيه وثقافته، ومنها ثلاث:

د . نادية غازي العزاوي

١- المرجعيّة التراثيّة:

بتاثير النشأة في مدينة عريقة في عمقها التاريخيّ الحافل بالعلم والعلماء، وكان لا يزال التحصيل العلمي جارياً في الكتاتيب على الطرق التقليدية بالتأكيد – خاصة – على عناصر أساسيّة: (القرآن الكريم، الشعر، اللغة) وبالاعتماد على آليّات أساسية في مقدمتها: ترويض ملكات الطلبة على الاستظهار والحفظ الكثير، ثم التفسير والفهم، وهي الطريقة التي أطلق عليها التربويّون – لاحقاً – اسم (نظرية التكشّف)، وقد دافع عنها الطاهر لأنّه لمس جدواها فيما اختزنت حافظته من نصوص ومعلومات ظلت تسلس له قيادها حتى آخر حياته.

ومع الكتاتيب شرعت – في عهده – تأسَّس المدارس الحديثة وتظهر معها الأساليب الجديدة في التعليم، وهكذا اتيح للطاهر ومن هم في جيله عامة فرصة أن يتعاور عليهم نمطان من المعلمين يمثلان توجهين مختلفين: شيخ معمّم في الكتاتيب ينهج بهم نهج الأقدمين في دراسة الاصول وتوجيهها، ومعلم عصري يعتمد على الطرائق الحديثة في التلقين والتحليل والاستعانة بوسائل الايضاح من سبورات وخرائط ومجلات، ولذلك نشأ هذا الجيل نشأة متوازنة في جمعها بين القديم والجديد.

والطاهر من حفاظ الشعر، لا يني ينثال عليه ويستمدّ منه الشاهد والمثل والعبرة في أغلب صفحات الكتاب، وعلى نحو ما وضّح: (انّ عوامل الشعر قائمة في المجتمع الذي أعيش فيه على وجه يلفت النظر ويجتذب اليه من كانت له أذن على شيء من الاستعداد...... ولا بدّ من أن يكون لذلك الاهتمام – اذا لقي أذناً مستعدّة – أثره في الصقل الموسيقيّ وتلقّف الأوزان) (ص ٥٥) .

والولع بقراءة الشعر وحفظه والاعجاب بمعانيه وخصوصيّة لغته هي التي جعلته ينظم الشعر مبكراً والشعر العاميّ منه خاصة في المدرسة الابتدائية (ص ٣٧) وفي المحلّة، ثم خاض تجربة كتابة الشعر - فعلاً – في شبابه، ولكنها ظلّت تجارب عابرة لم يمنحها الفرصة الكافية لتتطوّر: (ودار المعلمين العالية جوّ شعريّ وموئل شعر ورأى صاحبنا نفسه يقول شعراً لم يخلُ من شاعرية، وهو يقرّر - هنا – أنّ أ ول انبثاق شعري له جرى بعد قراءة........ ديوان ابراهيم الطباطبائيّ...... وان صاحبنا لم يدخل في حسابه أن يكون شاعراً وفي هذا يكمن سبب مهم لانقطاعه العاجل) (ص ١٤٤، ١٤٥) ..

٢- المرجعيّة المصريّة:

واعني بها الحصيلة المعرفيّة التي أمدّته بها الحركة الثقافية المصرية الحديثة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وليس المقصود طبعاً ما حصل عليه خلال فترة دراسته في جامعة فؤاد في مصر خلال سنة ونصف (شباط ١٩٤٧ / حزيران ١٩٤٨). وانّما ما اكتسبه وهو في العراق، فقد كان القرّاء العراقيون نهمين يتلقفون بهمة عالية جديد دور النشر والمطابع المصرية فتأثر بكثير من الأعلام: (طه حسين، سلامة موسى، أحمد حسن الزيات، توفيق الحكيم، المازنيّ، محمد مندور..... الخ) في حدود تتراوح بين التأثّر بطروحاتهم الفكريّة وبين التمتّع بأساليبهم الفنية في الكتابة، ولم تكن عدّته في ذلك كتباً فحسب، بل مجلات وسلاسل أيضاً تحتلّ مكانة مهمة لديه: (الرسالة، الكاتب المصريّ، الهلال، الثقافة، سلسلة (اقرأ).... الخ، و.(للرسالة) – خاصة – مكانة مستديمة لديه بما قدّمت له من اسرار فنية في صناعة الأساليب (ولا سيما أحمد حسن الزيّات)، وبما أمدّته به من حصيلة ثقافية مبكرة في النقد الأدبيّ.

٣- المرجعيّة الفرنسيّة:

بتأثير دراسته في السوربون التي قدّمت له اثنتين:

٣/أ – دراسة التراث العربي بطرائق جديدة على يد جماعة من المسشرقين أخذ عنهم أصول مناهج البحث والتحقيق: (وأشهد هنا أنّي تعلّمت كثيراً جداً من المسيو بلاشير في شؤون المنهج وأكاد أقول: لولاه لما عرفت جوهر المنهج ولولاه لما عرفت جوهر التحقيق: تحقيق المخطوط العربي) (ص ١٥٦).

٣/ب – دراسة روائع الأدب الفرنسي بلغتها الأصلية وبما أتاح له توسيع أفقه المعرفي، ويصف هذه التجربة باعتزاز ملحوظ: (اختلفت الى مدرجات الأدب الفرنسي أضعاف أضعاف ما اختلفت الى غرف الأدب العربي، ووجدت لدى المسيو مورو ما يكمل ما وجدته لدى المسيو بلاشير، وفرحت بدبلوم الحضارة الفرنسية – وتقوم أركان الدبلوم على الأدب الفرنسي – أضعاف فرحي بالدكتوراه، وقرأت الكثير من نصوص الأدب الفرنسي وتاريخه ونقده) (ص ١٥٨).

×××

ج – وفي الكتاب لمحات مفيدة عن تاريخ التعليم الحديث في العراق بما انتقت الذاكرة من أسماء المدرسين الذين تأثر بهم وعنوانات الكتب المدرسية التي درسها خلال المراحل الدراسية المختلفة مقرونة بأسماء مؤلفيها العرب والعراقيين منبهاً في صفحات كثيرة الى أهميّة هذا الجانب المنسيّ من تاريخنا: (أنّ هذه الكتب في حكم المفقود وأحسب أنّ الذي بقي منها في المكتبة الوطنية – أنْ بقي منها شيء – محدود جداً على حين أنّها في جملتها تكوّن اسساً من الفكر العراقي في تطوره والعلم العراقي والأدب العراقي، ولا يستحيل أن يتجرد باحثون متخصّصون في المكتبات (الببلوغرافيّة) تُنيط بهم جهة رسمية معتمدة عمل (معجم بالكتب المقررة) ويُذكر فيه اسم الكتاب والمؤلف أ و المؤلفين أو المترجمين وتاريخ الطبع ومكانه وعدد طبعاته ليرجع اليه الدارسون ويتابعوا من خلاله التطوّر ويستعيدوا التاريخ العام والخاص) (ص ٨١).

وتهمني كثيراً اشارته الأخيرة عن (التاريخ الخاص)، فما سجّله في هذا الجانب ليس من قبيل التاريخ العام، انّما أرَّخ لمواقف وأحداث تقع ضمن الخاصّ والخاصّ جداً – أحياناً – ما يمنحها قيمة وحيوية.

لقد رصد – فيما رصد – الأسس الصحيّة المعتمدة في فلسفة العملية التربوية في مدارسنا الأبتدائية والثانوية، اذ سعت – مبكراً جداً – بقصد توسيع مدارك الطلبة الى عدم غلق العملية التربوية على الأنشطة الصفية ضمن حدود (الكتاب المقرر والمعلم) بل مدّتها الى الأنشطة والفعاليات الثقافية: (المسرحيات، الحوارات الشعرية، الرسم، مواسم الخطابة، دروس الموسيقى، تاسيس المكتبات......الخ).

إنّما التحقيق ضرب من العلم ، جليل لا ينهض به إلّا من كان ذا بصيرة نافذة ، ومعرفة صحيحة متماسكة ، وجُبل ، من قبل ، على حبّ التثبّت ، وأخذ نفسه بالأناة حتّى تبلغ به اليقين أو ما يقترب منه . وقد استقرّ « للتحقيق « معنيان : الأوّل : الضبط ، والتصحيح .

إنّما التحقيق ضرب من العلم ، جليل لا ينهض به إلّا من كان ذا بصيرة نافذة ، ومعرفة صحيحة متماسكة ، وجُبل ، من قبل ، على حبّ التثبّت ، وأخذ نفسه بالأناة حتّى تبلغ به اليقين أو ما يقترب منه . وقد استقرّ « للتحقيق « معنيان : الأوّل : الضبط ، والتصحيح ، وتحرّي الصواب ، ونفي الخطأ ؛ والثاني : إخراج الأثر القديم على ما تركه عليه صاحبه ، أو أقرب ما يكون إلى ذلك ؛ وبين المعنيين قدر جامع مداره على توخّي الحقّ ، والابتعاد عن الباطل ، وإنزال الأشياء منازلها ؛ من أجل استقامة المعرفة ، ووضوح نهجها . ولقد كان للطاهر نصيب موفور من المعنيين كليهما .

علي جواد الطاهر .. المحقّق

سعيد عدنان

كان كثير القراءة ، يقرأ القديم ، ويقرأ الجديد ؛ يقرأ الأدب ، والتاريخ ، والفكر ، ويقرأ كلّ ما يتّصل بذلك ؛ كان يقرأ ويبده قلم رصاص فإذا مرّ بخطأ ما علّم بإزائه ، وربّما كتب الصواب على حاشية الكتاب ، ومضى في قراءته ؛ وكلّما وجد خطأ علّم عليه ؛ وقد يستدعي ذلك الرجوع إلى المصادر ابتغاء مزيد من المعرفة حتّى يتكامل صحيحها ، ويرجع إليها وضوحها . وقد كان ينفر من الخطأ ، والزلل ، ويؤذيه أن يجد كلاماً مرسلاً ؛ ولا يُرضيه إلّا تمام الصواب . وكلّ ذلك من التحقيق ، وضبط المعرفة ، وإشاعة الصحيح . ومنهجه ؛ أن يورد الخطأ بنصّه ، ثمّ يورد الصواب بعبارة وجيزة مبينة ، بعد أن يكون قد رجع إلى المصادر ، واستوثق من التصويب . ولا يقف عند ما هو رأي ، أو وجهة نظر ممّا لا يوافق صاحبه عليه ؛ بل وقفته عند صريح الخطأ . وكان قد شرع ينشر تلك التصويبات منذ الخمسينيّات ، بعد رجوعه من فرنسا في سنة ١٩٥٤ ، كان ينشرها في مجلّة (المكتبة) ، ثمّ وجدت سبيلها إلى مجلّة (الأديب) اللبنانيّة بعنوان ثابت هو : (تحقيقات عُرضيّة) وقد لقيت من القرّاء قبولاً حسناً ؛ لفائدتها في التقويم ، وإشاعة الصواب ، ولما جاءت عليه من رصانة وهدوء ؛ فليس من غاية كاتبها تطلب الأخطاء ، وانتقاص الآخرين ، وليس من وكده أن يُساجل أحداً ؛ بل هو يعلن الصواب ويمضي . لقد كان يزينها علم رصين ، وخلق حميد . ثمّ ضمّها مع غيرها كتاب (تحقيقات وتعليقات) الصادر بطبعته الأولى سنة ١٩٨٦ ؛ فإذا بها درس في العلم والمنهج والخلق ؛ وهي أشياء ثلاثة لاتنفصل عند علي جواد الطاهر ، ولا يستقيم أحدها من دون صاحبيه !

كان حبّ التثبّت سجية فيه لا تفارقه ؛ يأخذ به في ما يؤلّف ويكتب ويتحدّث ، ويريد من الآخرين أن يتثبّتوا ممّا يكتبون ، وأن يستوفوا ما يعالجون على قدر ما يستطيعه المرء إذا صدق النيّة وبذل الوسع ؛ غير أنّ الكمال شيء بعيد المنال ؛ فلا بدّ من أن يظل باب « التحقيق « مفتوحاً ، وأن يتّصل به باب آخر هو (الفوات) . فما من مؤلّف إلّا أن يكون قد فاتّه شيء هنا ، وشيء هناك ، أو سها عن أمر ، أو خفي عليه آخر ؛ فإذا نُبّه عليه ، وذُكر به استقامت المعرفة في ذلك الجانب منها ، وتكاملت عناصرها . وقد كانت للطاهر ، مع « التحقيقات « وقفات مع « الفوات « ممّا فات المؤلّفين في مسألة ما ؛ سهواً أو جهلاً ، اجتمعت في كتاب : (فوات المؤلّفين) وقد استهلّه قائلاً : (إذا كان الكتاب جزءاً لا يتجزّأ من حياتك فأحببته ، ولازمته ، وحرصت على أن يكون سليماً ، وأن ينجو مؤلّفه من العثرات ؛ سجلت وأنت تقرأ على هذا الكتاب أو ذاك ما وقع فيه المؤلّف سهواً أو خطأ ، وبمعنى آخر سجلت فوتا . ويصعب أن يوجد مؤلّف بدون فوت في المنهج إن لم يكن في العلم ، وهنا وجب عليك خدمة للمؤلف والمؤلّف والقارئ ، والعلم والحقيقة أن تنبّه إلى ما تعثر عليه أو به ، وتصحّح ما أمكنك التصحيح .) وقد بُني « الفوات « على ما بُنيت عليه « التحقيقات « من علم رصين متماسك ، ومنهج واضح قويم ، وخلق رفيع سمح ؛ يحبّ المعرفة ، وأصحابها ، ومن يكون منها بسبب .

لقد كان ممّا يؤذيه أن تقع الهفوات ممّن يقدر أن يتجنّبها ؛ لو بذل مزيداً من الجهد ، ولم تدركه العجلة ؛ وقد وجد في (الموسوعة العربيّة الميسّرة) ، وهو يقرؤها ، كثيراً من الهفوات التي ما كان لأعلام الأدب والفكر الذين قاموا عليها أن يقعوا فيها ؛ فرأى أن ينبّه على الخطأ حتّى لا يشيع ، وأن يورد الصواب على نحو موثّق سليم . وليس يسيراً أن يتتبّع امرؤ ما وقع في الموسوعة من زلل ؛ لكنّ الطاهر بما له من منهج محكم ، وسعة في المعرفة ، وجبلة صافية تتجه به نحو الصواب ، وبما له من محبّة الكتاب ؛ كان قادراً أن ينبّه ، وأن يصحّح ؛ وقد صدر الكتاب بعوان (ملاحظات على الموسوعة العربيّة الميسّرة) ، يقرؤه قارئه ، وهو يرجع إلى الموسوعة ، فتزداد المعرفة عنده وضوحا وسلامة .

بل إنّ هذا الضرب من التحقيق لم يُقصر على هذه المؤلّفات وإنّما هو جار في كلّ ما كتب ، وما ألّف ؛ يأخذ به نفسه أوّلاً قبلَ أن يأخذ به غيره ؛ فلا غرو أن تجيء كتابته محكّكة منقّحة لا أود فيها ؛ قد بذل فيها من الجهد ، والصبر شيئاً كثيراً .

ذلك ضرب من التحقيق زاوله الطاهر مقتدراً ، مدّة حياته ، وبقي ضرب آخر ؛ كان له فيه قدم صدق أيضاً ؛ هو : إخراج الأثر القديم ، ونشره على نحو ما تركه عليه صاحبه ، أو أقرب ما يكون إلى ذلك . وقد عُني بالمخطوطات منذ دراسته في باريس ، إذ كان من تمامها أن يحقّق أثراً قديماً من آثار العربيّة ؛ فشرع يحقّق : (درّة التاج من شعر ابن الحجّاج) اختيار الإصطرلابي ؛ بإشراف أستاذه المستشرق بلاشير حتّى أتمّ التحقيق على أصوله المعتمدة فاكتسب تجربة غنيّة في معالجة النصّ القديم ؛ سوف يُفيد منها ويزيد عليها ، من بعد . ولقد كان من شعراء العصر السلجوقي الذين درسهم في أطروحة الدكتوراه ؛ شاعر أحبّه ، وأحبّ قصيدة له ، ولم يكن ديوانه قد نُشر النشر الصحيح ؛ ذلك الشاعر هو الطغرائي ، والقصيدة هي لاميّته ؛ فكان لا بدّ أن يُعنى به ويهيّئ مخطوطاته لكي يخرج منشوراً نشراً صحيحاً بريئاً من الأفات . وقد ظهر الديوان بمشاركة يحيى الجبوري ؛ وهو على الغاية ممّا أراد له . وكان من قبل ظهور ديوان الطغرائي ، قد ظهر له ديوان الخريمي بمشاركة محمّد جبّار المعيبد ؛ وكلا العملين جاء على أصول النشر الرفيعة ؛ من حيث استيعاب النسخ المخطوطة ، واتّخاذ أفضلها أمّاً ، ومقابلة الأخريات عليها . لقد كان من منهج الطاهر في النشر أن يؤدي النصّ القديم أداء تامّاً أميناً ، من دون أن يُثقل الحواشي بالشرح والتفسير . ذلك أنّ تحقيق الأثر القديم ونشره شيء ، والقيام عليه بالشرح والتفسير شيء آخر ، وليس من الحكمة الخلط بين هذا وذاك . ومع تحقيق الأثر القديم ونشره ، فقد كلّفته وزارة الإعلام مع آخرين بتحقيق ديوان الجواهريّ ، حينما أرادت نشره ، ثمّ كلّفته بتحقيق ديوان الجعفريّ ؛ فالتقت لديه تجربتا تحقيق الأثر القديم ، والأثر الحديث ؛ فأغنت كلٌ منهما الأخرى .

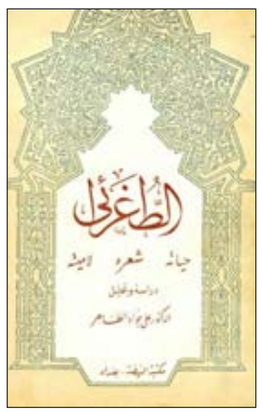

ويتّصل بتحقيق الأثر القديم ونشره ، ويكاد يكون منه ، ما يقال له : نقد التحقيق ؛ وقد زاوله الطاهر على أتمّ وجه ، منبّهًا على ما وهم به المحقّقون ، أو ما فاتهم من معنى الصواب ؛ سهواً ، أو غفلة ، أو تثاقلاً عن بذل الجهد ، واستفراغ الوسع . وربّما يكون المحقّق عالماً فاضلاً ، ولكنّ سعة الأثر القديم ، وتشعّب موارده قد تفضي به إلى شيء ممّا يخالف الصواب كالذي كان من إحسان عبّاس وهو يحقّق (وفيات الأعيان) فقد خفي عنه المراد في بعض الموارد ؛ فلمّا قرأه الطاهر أخذ يكتب ملاحظاته على التحقيق جزءاً جزءاً ، مع الثناء على جهد المحقّق ، وينشرها في مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق حتّى استوفى الكلام على الأجزاء كلّها ، ثمّ أصدرها في كتاب بعنوان (ملاحظات على وفيات الأعيان) . وقد كانت منذ نشرها في مجلّة المجمع تلقى رضا إحسان عبّاس ، وقبوله ؛ إذ وجد فيها جهداً صادقاً حريصاً على تكامل العمل .

وكان يأخذ نفسه ، على قدر الوسع ، أن يقف عند الكتب المحقّقة التي يقرؤها ، وينبّه على ما فات المحقّق ، ويذكر الصواب ، من أجل أن يستقيم النصّ ، ويظهر للناس كما تركه صاحبه ، أو أقرب ما يكون إلى ذلك . وصار لديه قدر من « الفوات « يصلح أن يكون كتاباً ؛ فأصدره بعنوان (فوات المحقّقين) .

وكان الطاهر ، من قبل ، قد عُني بابن سلّام وكتابه طبقات الشعراء عناية واسعة ؛ عُني به مخطوطاً ومطبوعاً ، وجعله موضع درس ؛ فلمّا نشره الشيخ محمود محمّد شاكر ؛ بعنوان : (طبقات فحول الشعراء) كانت له على منهج التحقيق جملة ملاحظات ؛ نشرها في مجلّة (المورد) ، ثمّ ضمّها في كتابه : (محمّد بن سلّام وكتابه طبقات الشعراء) .

لقد كان يولي نقد التحقيق قدراً كبيراً من جهده ، ويرى فيه أمراً لا غنى عنه من أجل رعاية النصّ القديم واستقامته .

إنّ الطاهر ، وهو يزاول التحقيق بضربيه ، محقّق ثبت قليل النظير ؛ يزينه علم رصين ، ومنهج قويم ، وخلق رفيع ...!

الطاهر وحكاية مدام بوفاري

علي حسين

ليس امتع من قراءة اعمال العلامة علي جواد الطاهر غير الجلوس اليه والاستماع الى احاديثه ، كان موعده لزيارة المكتبة التي أعمل فيها مساء كل اربعاء، يدخل المكتبة باناقته التي تنم عن روحه الشبابية وابتسامته التي لاتفارقه وسؤاله الدائم : هل وصلت كتب جديدة بالفرنسية؟ كان الراحل الطاهر قد حصل على الدكتوراه من السوربون ، وعلى مدرجات الجامعة ظل يحتفظ بنصيحة استاذه محمد مهدي البصير في أن يغترف أولاً من تجربة الغرب في الأدب واللغة، ولهذا نراه يكتب : " إني لم أطمح من الدراسة في فرنسا إلا من أجل الإلمام بادب آخر عالمي " .وذات يوم تجرأت وانا اشاهده منهمكا في قراءة عناوين الكتب لأسأله عن رأيه بالادب الفرنسي ، إلتفت إلي وعلى وجهه إبتسامته المعهودة : هذا سؤال طويل وعريض، هل تعرف إن عمر الادب الفرنسي من عمر الحضارة الاوروبية. صَمتُ ولم أكن أدري بماذا أُجيب، وعندما شاهد حيرتي اقترب مني وهو يقول : عندما عشت في باريس خمسة أعوام وكم شهر ، كنت مثلك أعتقد أنني أستطيع أن أتعرف على معظم ما كتبه ادباء فرنسا، لكنني عدت وأنا لم اقرأ سوى عشرات الكتب.

قلت له : أنا قرأت فلوبير وستندال وبلزاك وموبسان ورحت أعدد،

قاطعني قائلا : هل قرأت حقاً فلوبير؟

قلت : نعم حكاية الزوجة الخائنة؟

وابتسم عميد النقد العراقي : الزوجة الخائنة، تعني مدام بوفاري

قلت وأنا اعتقد إنني استطعت أن أثير اهتمام الناقد الكبير : نعم هي مدام بوفاري .

وراح الطاهر يشرح لي ما فات على هاوي قراة مثلي : لقد ولد فلوبير شغوفاً بالادب، لكنه يمتاز عن معظم أدباء عصره بانه كان دقيق الملاحظة، دائما ما ينصح الأدباء بان يروا جيداً، وأن ينظروا الى كل ما يريدون التعبير عنه نظرة طويلة وبانتباه ليكتشفوا فيها صورة جديدة لم يروها من قبل ولم يكتب عنها أحد "، بعدها يكمل الطاهر : هل تدري أن فلوبير عندما أراد ان ينهي حياة مدام بوفاري بالسم، أخذ يقرأ عن السموم وتأثيراتها، وكان يذهب كل صباح الى أحد المختبرات ليسمع حديثاً عن أخطر أنواع السموم، وكان يدوّن العديد من الملاحظات، وكان أحياناً يمضي يوماً او يومين في كتابة سطر واحد ولهذا أمضى في كتابة مدام بوفاري أكثر من ستة أعوام ".

ثم أخبرني الطاهر انه ما من رواية أثارت جدلاً مثلما أثارته رواية مدام بوفاري التي كتبت عنها عشرات المؤلفات ، وكان أبرزها حسب قول الطاهر ما كتبه الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر في كتاب تجاوزت صفحاته الـ ٣٠٠٠ صفحة ".

ويضيف الطاهر : يخبرنا سارتر في كتابه كبير الحجم هذا ، أن هناك عددا من الأسباب دفعته الى أن يكتب عن فلوبير، أول هذه الاسباب إن قلة فقط من الشخصيات في تاريخ الأدب، تركت وراءها كل هذا الكم الذي تركه فلوبير من معلومات وتفسيرات تتعلق بأدبه.

أتأمل مؤلفات علي جواد الطاهر والتي تنوزعت بين النقد وتحقيق التراث والسيرة والترجمة ، وأسأل: هل كان يريد هذا الناقد والمترجم والباحث عن جذور الثقافة العراقية الوطنية أن يقول لنا انه لايزال يحتفظ بنصيحة طه حسين التي قرأها في احدى كتبه ": عليك بالتبصر في المعرفة والدقة في البحث" ؟، هل كان يريد أن يدلنا على نفسه وهو يعيد على اسماع طلبته الحكمة الجميلة التي نطق بها ابراهيم بن سيار النظام استاذ الجاحظ حين قال: العلم لا يعطيك بعضه الا اذا اعطيته كلك؟ فنراه يمضي في دروب الثقافة والمعرفة يسعى الى اشياء من هنا ، وهناك ومنها بعض دروس في التواضع سطرها لنا في كتابه الممتع " اساتذتي " ، وفيه يقدم التحية لاساتذة تتلمذ على ايديهم وعرفهم عن قرب مثل مصطفى جواد ، والعلامة طه الراوي ، ومحمد مهدي البصير ، والقسم الاخر تعلم منهم من خلال كتبهم وكان ابرزهم طه حسين الذي سيكتب عنه : " وأول ما يتبادر الى ذهنك انك تلميذ لطه حسين، وعليك واجب الوفاء، لم تكن تلميذا له في صف او مدرسة او اي مكان محدد بسياج، ولكنك كنت تلميذا لأستاذ علمك معنى ان يكون الأديب مبدعا (...) وقد تفوق تلميذه من هذا النوع تلمذة من ذاك النوع" .

وكان التلميذ – علي جواد الطاهر – قد قرر ان يحمل بعضا من خصال طه حسين وحبه للمعرفة ثم الشقاء في سبيل بث شغف الكتاب عند طلبته ؟ وأي عام هو العام الذي مر ولم يصدر فيه كتاب للطاهر العراقي الروح، العربي الهوى والانتماء؟ .

يكتب فوكو: "إحدى مزايا المفكر هي أنه لا خيار له سوى المزيد من المعرفة"

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق
الاخراج الفني: خالد خضير
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

علي جواد الطاهر.. معلم النقد الذي كان ولا يزال

لقد امتدت مسيرة الطاهر بدأبها وعطائها العلمي أكثر من نصف قرن، بدأت حين شدّ رحاله في الأربعينات إلى (أم الدنيا) وعاصمة الثقافة العربية، القاهرة، ومن ثم إلى عاصمة الجمال والثقافة الغربية، باريس، ليحصل فيهما على شهاداته العليا ويعود فيبدأ إسهاماته الأكاديمية من خلال دوره التدريسي والبحثي في جامعة بغداد بكليتيها الرائدتين التربية- دار المعلمين العالية سابقاً- وكلية الآداب، ودوره الثقافي والأدبي خارج الجامعة، خصوصاً عبر إسهامه الريادي مع الرواد المؤسسين الحقيقيين الآخرين لاتحاد الأدباء العراقيين، وترسيخه للتقاليد الثقافية التي عرَفَتْها، وما زالت حتى الآن، مؤسسات الثقافة واتحاداتها في العراق.

د. نجم عبدالله كاظم

ومنذ تلك الأزمان عرفته الصحف والمجلات كاتباً ومتابعاً دؤوباً وصاحب أعمدة وأبواب ثقافية. وهو في ذلك لم يتوقف عند الحدود القطرية، التي لا تعرفها الثقافة بالطبع، فامتد نشاطه من داخل العراق إلى خارجه، في مصر والسعودية والإمارات ولبنان والمغرب العربي واليمن والكويت وغيرها. وهو في ذلك ما خف له نشاط، حتى حين خفتت أنفاسه، وما تباطأ دأبه ومتابعاته وحيويته حين تباطأت نبضات قلبه، فشهدت سنواته بل أيامه الأخيرة نشاطاته النقدية والكتابية والتأليفية، كما عهدناها من قبل. ولهذا كله ليس غريبا أن يحظى الأستاذ الراحل بتقدير المؤسسات والاتحادات والجمعيات العلمية والثقافية الرسمية وغير الرسمية في كل الوطن العربي، فكانت تضييفاتها وتكريماتها له التي كان آخرها حصوله قبل بضع سنوات من وفاته على جائزة العويس الإماراتية الكبيرة.

وضمن منهجه الثقافي الحياتي تطبيق الطاهر لما آمن به من اختلاف الرأي الذي لا يكون النقد إلا به واحترام الآخر والرأي الآخر، وهو ما كان يجسده في كل شيء يمارسه أو يسلكه كتابة ونقداً وتدريساً ورعاية وعلاقات. لا شك أن اختلاف الرأي مسألة طبيعية في الحياة، قبل أن تكون في الأدب، وفي مجالات الثقافة والفكر المختلفة، وتبعا لذلك فإن حرية الرأي والدفاع عنه طبيعية أيضا. ولكن هذا لا يعني أن نقول ما نشاء، وكيفما نشاء، وبدون مراعاة لأصول ولياقة مناسبة وعقلنة وتعليل. فمرة أخرى إن الإيمان بالرأي والرأي الآخر والاختلاف الصحي في الآراء والرؤى هو أبرز ما جسدته شخصية الطاهر، ولعل هذا هو عينه الذي قاد ناقدنا الكبير إلى ما أساء بعضهم فهمه واستيعابه وفي النتيجة من ممارسته من النقد الانطباعي أو التأثري. والمفارقة أن أصحاب هذا الفهم لمواقف الطاهر ونقده الانطباعي، قد أساؤوا في الأصل فهم النقد الانطباعي أو التأثري، حين كانوا يكتفون منه بما جسده المذهب الانطباعي في الفن. فإذا كانت الانطباعية أو المذهب الانطباعي، حين ظهر في الإبداع، وتحديداً الفن التشكيلي على أيدي فنانين مثل رينوار، يعني التعبير فنياً عن التأثر الذاتي، فإنه حين انتقل إلى النقد، والنقد في موضوعيته وعدم نفي الذاتية بشكل مطلق هو غير الإبداع في ذاتيته وعدم نفي الموضوعية بشكل مطلق، صار يعني التعبير عن التأثر والانطباع أيضاً، ولكن مع إدخال التعليل والتبرير وبعض العقلنة، حتى وإن بقي يعني «النقد الذي لا يهتم فيه الناقد بتحليل الأثر الأدبي، ولا بترجمة حياة مؤلفه، ولا بمناقشة قضايا جمالية مجردة، وإنما يقدم في أسلوب جذاب حي انطباعه هو نفسه بالأثر الأدبي الماثل أمامه»

لقد كان طبيعياً هنا، ونحن نستذكر بعض مقالات الطاهر في هذا الاتجاه، أن يتفق بعضهم معه ويختلف بعض آخر. في الواقع لقد اتفق الكثيرون معه في كل شيء تقريباً، واتفق آخرون مع أغلب طروحاته وآرائه وشخصه واختلفوا في بعض آخر ولكن من دون أن يقلل ذلك من وعيهم بما يعنيه له ولغيرهم وللنقد عموماً، بينما اختلف فريق ثالث معه بشكل شبه كلي ولكن انطلاقاً من حق يمتلكه كل منا في أن يفعل ذلك وفي أن يكون صاحب رأي آخر. ولكن هناك فريق رابع أريد أن أتوقف عنده في هذه الفقرة وهو الفريق الذي اختلف أفراده مع الطاهر، وأساءوا الاختلاف، ثم أساءوا التعبير عن الاختلاف، بل تجاوزوا ذلك في ما كتبوه للتعبير عن ذلك لا على الطاهر ناقداً ولا على آرائه بل على شخصه. هنا نستذكر واحدة من هذه الكتابات بوصفها نموذجاً لهذا، وقد كتبنا رداً عليها وعلى صاحبها حينها، وهو مقال «تساؤلات حول حوار في النقد القصصي العراقي» المنشور في صفحة (ثقافة) من جريدة «الجمهورية» العراقية قبل وفاته ببضعة أشهر، وهو مقال جاء تعليقا على حوار أجراه، مع الدكتور علي جواد الطاهر، القاص أحمد خلف في مجلة (الأقلام)، قبل ذلك بأشهر. فإذا كان العنوان لا ينم عن خلل في أصول الحوار والاختلاف والموضوعية، فإن الموضوع نفسه افتقد الكثير من ذلك بشكل صريح وواضح، في أسلوبه وفي محاورته للناقد الكبير وفي تلميحاته غير اللائقة، وهو ما لم نكن نتوقع أن يصدر عن أديب شاب مثل القاص زيدان حمود، مع أستاذ جليل كبير متفرّد بكل معاني النقد والأدب والأكاديمية كالدكتور الطاهر. فما من أحد جاد وناضج في الوسط الأدبي لا يحترم أن يكون لكاتب أو ناقد شاب مثل زيدان حمود رأي واختلاف مع أي كان، بمن علم مثل الطاهر، ولكن أن يكون هذا شيءٌ وأن يكون في الكتابة والتعبير عن الرأي والاختلاف فيه مع الآخر بأسلوب يخلو من اللياقة ومن أصول الاختلاف وأصول التعبير والنقد شيءٌ آخر. وهكذا إذا كنا نسلّم بأنْ يبدي القاص ما أبداه من آراء، في مقاله، فإنه لعيب، بكل المقاييس أن ينجر وراء بعض المتعالمين، ليخاطب أستاذاً جليلا بأستاذية غير مبررة، حين يخاطبه مثلاً بالقول:

«النص الحديث نص عميق إنساني يحمل شفراته المبثوثة عبر عوالم دفينة قابلة للتحليل والتأويل، وهذا ما يكتشفه النقد الحديث».

وإننا لنتساءل مشدوهين ومستغربين: كيف يصدر خطاب بهذا الأسلوب التعليمي من كاتب لما يزل يختط طريقه ويتلمس مواطئ أقدامه، بدلاً من التماس الرأي ممن يوجه إليه الخطاب؟ الواقع أن أسلوباً مثل أسلوب زيدان حمود قد جعلنا وقتها نتيّقن من صحة تشخيصات الطاهر نفسه حين يلتفت إلى النابه من الكتّاب، ومن الطبيعي أن يكونوا قلةً، وإلى المتميّز من الكتابات، ومن الطبيعي أن لا تكون كثيرة جداً، ونفهم أيضاً تجاوزه لعدد غير قليل من الكتاب حين لا يجد لديهم وفي كتاباتهم ما يثير أو ما يعد به، وفوق هذا يروحون يصرخون ويتعالون على مَن من حولهم. في الواقع، هنا بالتحديد تتجسد المآخذ الرئيسة على بعض الكتّاب الشباب وقتها وحالياً نعني: عدم احترام الرموز الكبيرة في حياتنا الثقافية، وافتقاد تقاليد الكتابة، وانعدام اللياقة، مع المكابرة والإصرار على السير في الطريق الخاطئ، وفي كل ذلك ترى بعضهم، وهنا لا أعني زيدان حمود بل آخرين، يحاول الطيران بغير أجنحته، إن صح تعبيري المجازي.

عراقيون
من زمن التوهج